الأنصار والمهاجرون

المهاجرون والأنصار

بقلم الشيخ

أبي سعد العلي

حفظه الله

مؤسسة المأسدة الإعلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة المأسدة الإعلامية

– تقدم –

المقالة الأروع

الأنصار المهاجرون والمهاجرون الأنصار

للشيخ أبي سعد العاملي (حفظه الله)

١٤٣٣ هـ | ٢٠١٢ م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، إمام المجاهدين القائل : "والذي نفسي بيده، وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتَل، ثم أحيا ثم أقتَل، ثم أحيا ثم أقتَل، ثم أحيا ثم أقتَل".

فالحديث عن الشهادة والشهداء لا يكفيه مجلدات فضلاً عن مقالات أو كلمات معدودات، ولكننا نكتفي بهذه الالتفاتات ورؤوس أقلام التي ندون فيها جوانب من حياة هؤلاء الشهداء، وجزءاً من جهادهم المقدس في زمن غربة الإسلام الثانية، حيث تحالف الأحزاب الكافرة والملحدة والمرتدة والمنافقة على أمة الإسلام وخاصة على الذين قاموا يدافعون عن عقيدة هذه الأمة وحرماتها ممن يسميهم العدو بالجماعات الإرهابية ونسميهم نحن بالطائفة المنصورة بإذن الله ويتمثلون في هؤلاء المهاجرين والأنصار الذين طلقوا الدنيا ثلاثاً وآثروا ما عند الله لينصروا دينه ويدفعوا عن الشعوب المسلمة المستضعفة ما تتعرض له من ظلم وقتل وتشريد على أيدي عدو صائل، لا يندفع إلا بإيمان وهجرة وجهاد.

جمعوا بين النصرة والهجرة، فلا تكاد تجد لهم مثيلاً في التاريخ الإسلامي، وليس غريباً أن نجد مدح النبي صلى الله عليه وسلم لهم: إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم. قالوا: يا نبي الله أو منهم ؟ قال : بل منكم .[1]

جمعوا أيضاً بين الهجرة وطلب العلم وطلب الجهاد، أي نماذج هذه ؟ فمن حق أمة الإسلام أن تفخر بوجود أمثال هؤلاء بينها، ومن حق المنهج الجهادي أن يفخر بوجود هؤلاء الجنود في صفوفه، يؤثرون الحياة الدنيا بكل شهواتها ومناصبها ونسائها بل إنهم يتركون أبناءهم في حفظ الله ورعايته وكنفه ليبدأوا رحلة الهجرة الطويلة المدى والمعقدة المحطات ولكنها مضمونة النتائج لتنتهي في جبهة من جبهات القتال، وسط أناس لا تربطهم بهم أي رابطة قرابة أو صحبة ما عدى رابطة العقيدة التي أحياها هؤلاء من جملة ما أحيوا، لتعود إلى الأذهان تلك الصور الناصعة والأمثلة الرائعة والأيام المثالية التي عاشها الرعيل الأول من الصحابة الكرام برفقة وقيادة خاتم الأنبياء والمرسلين.

لقد أعاد هؤلاء تاريخ الإسلام الأول من جديد، كما كتبوا صفحات مشرقة جديدة ستضاف إلى الصفحات التي سطرها سلفنا الصالح من قبل، قمة في الالتزام بدينهم وقمة في التضحية في سبيله وقمة في تجسيد هذا الدين في الواقع العملي مع إخوانهم أذلة ، ومع أعدائهم أعزة ، كما يأمر بذلك رب البرية.

أود في هذه المقالة أن أسرد بعض سمات هذه الطائفة التي جعلتها تتميز وتحقق كل ما نراه من عزة وفضل نالته أمتنا بسببهم هم، وبجهودهم هم، وبتضحياتهم هم، فلله درهم وعلى الله أجرهم من فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى وآتاهم تقواهم.

١- الحديث رواه ابن نصر في كتاب السُّنة بهذا اللفظ والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله بمجموع طُرقه

حب الله ورسوله

لا يمكن لهؤلاء الفتية أن يتميزوا في طاعتهم لربهم بهذه التضحية والفداء وترك المحبوبات وراء ظهورهم لولا أن قلوبهم مليئة بحب الله عز وجل، وأنهم فرغوها من كل محبوب أو معبود سواه، وهذا ما يجعلنا نفهم وندرك سر هذا التميز، وهذه الأعمال الجبارة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : " يقول رسول الله : "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" ويقول تعالى ﴿ **مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [٢] وفي الأثر يقول الله:" طال شوق الأبرار وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً"

ويقول: حياة المحبين المشتاقين المستأنسين هى الحياة الطيبة في الحقيقة ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ [٣] وطبعا ليس المقصود بها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار فقد يزيد عطاؤه للكفار في الدنيا من الملذات ولكن المقصود هو.

ويقول أيضاً: إن أطيب حياة هى حياة من اجتمعت همومه كلها وصارت هما واحداً فى مرضاة الله ولم يتشعب قلبه واجتمعت إرادته وأفكاره على الله وصار ذكره لمحبوبه الأعلى والشوق إلى لقائه والأنس بقربه هو المستولى عليه وبه تتحرك كل همه وإراداته وكل خطرات قلبه فإن سكت سكت بالله وإن أبصر فبه يبصر وبه يبطش وبه يمشى وبه يتحرك وبه يحيى وبه يموت".

أقول: فهؤلاء الفتية امتلأت قلوبهم بالشوق إلى ربهم فلم يستطيعوا الصبر والبقاء في بيوتهم يعيشون هذه الحياة العادية التي يعيشها الناس، بل سارعوا إلى الهجرة من أجل الإعداد والجهاد لما علموا أن ذلك يرضي ربهم أكثر وبأنه باب واسع سيوصلهم إلى ربهم الذي يشتاقون إليه.

فقد عملوا بأمر ربهم : من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني مشياً أتيته هرولة " فكيف وهم أولاء يهرولون إلى ربهم ، فأكيد أن الله عز وجل سيأتيهم بأسرع منهم، ويستجيب كل طلباتهم وعلى رأسها اختيارهم شهداء ليفوزوا بما عند الله، رضوان منه سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم.

التجرد لله عز وجل

التجرد هو الانخلاع والانقطاع عن كل ملذات هذه الحياة الدنيا والزهد في كل أجر مادي ، والتعلق بثواب الله عز وجل وحده وابتغاء مرضاته، ولسان حاله يردد قول مولاه عز وجل ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ [٤]، وقوله﴿والآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [٥].

٢- العنكبوت: ٥

٣- النحل:٩٧

هكذا أصحابنا الأنصار والمهاجرون، خرجوا من بيوتهم وتركوا ديارهم وأموالهم ومتاعهم ومساكنهم ومنهم من ترك أهله وأولاده بيد الله عز وجل، يبتغي الأجر والمغنم الرباني، يقطع الصحاري والقفار، ويتعرض للمخاطر بحثاً عما غفل عنه الناس ، وإحياء لسنة وفريضة الهجرة في سبيل الله لنصرة دين الله.

فالتجرد هو " انقطاع القلب عن حظوظ النفس المزاحمة لمراد الرب منه ، وعن التفات القلب إلى ما سوى الله ، رغبة فيه، أو مبالاة به ، أو فكرة فيه وهو اتصال القلب بالله ، وإقباله عليه وإقامة وجهه له ، حباً وخوفاً ورجاءً وإنابة وتوكلاً "[٦]

فالمطلوب من المؤمن المهاجر إلى الله أن يتجرد في هجرته لله سبحانه وتعالى من كل ما سواه، وأن تكون الحركة والسكون في السر والعلن لله تعالى، لا يمازجه نفس ولا هوى ولا دنيا ولا جاه ولا سلطان، وأن يستحضر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه" [٧] .

والتجرد يسوق صاحبه إلى علو الهمة. قال ابن القيم " همة العبد إذا تعلقت بالحق تعالى طلباً صادقاً خالصاً محضاً فتلك هي الهمة العالية." [٨]

الزهد والتواضع والتذلل لإخوانهم

لقد ضحى هؤلاء الأبطال بكل ما يملكون في سبيل نصرة هذا الدين، ومنذ اليوم الأول لالتحاقهم بجبهة الحق، كانوا يعلمون أن هذه البيعة ستأخذ منهم الكثير ،[٩] ولقد استرخصوا كل شيء في سبيل الفوز برضا الله تعالى، فآمنوا وخالفوا بذلك كل الأعراف والقوانين، فضحوا بمصالح مادية كثيرة وبمعارف عديدة، ثم حينما سمعوا منادي الجهاد، هاجروا ليعدوا العدة ويشاركوا بأنفسهم في هذا الجهاد المبارك – على كل أرض يوجد فيه جهاد ومجاهدون – يتنقلون بين أرض وأخرى، يبتغون الشهادة ولا شيء غيرها.

من أعظم ما يلفت نظرك ويميز هؤلاء الفتية هو حينما ترى أحدهم متوشحاً رداء التواضع والبساطة في أعلى مستوياتها، سواء تعلق الأمر بالملبس أو المأكل أو الفراش، فتدفعك نفسك إلى الشفقة عليهم من شدة ما رضوا لأنفسهم من شظف العيش إيثاراً لما عند الله عز وجل، لأنهم علموا أن هذه النعم والملذات قد تكون عقبة لهم في

٤- النحل :٩٦

٥- الأعلى: ١٧

٦- تهذيب مدارج السالكين ٤٧٢/١

٧- صحيح البخاري – من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

٨- مدارج السالكين [٣/٣]

٩- انظر بحثنا: "بيعة العقبة الثالثة – وقفات تربوية مع بيعة العقبة الثانية – إصدارات مؤسسة المأسدة الإعلامية "

طريقهم إلى الله، ويرونها أثقالاً من شأنها أن تؤخر مسيرتهم فيصبحوا أثقل على تحمل المسؤوليات الكبرى الملقاة على عاتقهم.

وفي الوقت ذاته لا تملك إلا أن تقف وقفة احترام وإجلال وإكبار لهم على ما وفقوا إليه من تهذيب لأنفسهم وتطويع لها ليكونوا أذلة لإخوانهم، لا يتركون سبيلاً لخدمة إخوانهم إلا سلكوه، ولا وسيلة لإدخال السرور إلى قلوبهم إلا أخذوا بها.

حققوا قول الله عز وجل ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٠] في أجل صوره حتى جردوا أنفسهم لخدمة الآخرين، وفرغوا قلوبهم حتى لا تكاد تجد فيها حبة خردل من كبر.

يقول سيد قطب رحمه الله : " أذلة على المؤمنين".. وهي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر واللين.. فالمؤمن ذلول للمؤمن.. غير عصي عليه ولا صعب. هين لين.. ميسر مستجيب.. سمح ودود.. وهذه هي الذلة للمؤمنين.

وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة، إنما هي الأخوة ، ترفع الحواجز ، وتزيل التكلف وتخلط النفس بالنفس ، فلا يبقى فيها ما يستعصي وما يحتجز دون الآخرين .

إن حساسية الفرد بذاته متحوصلة متحيزة هي التي تجعله شموساً عصياً شحيحاً على أخيه ، فأما حين يخلط نفسه بنفوس العصبة المؤمنة معه ، فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصيه .

وماذا يبقى له في نفسه دونهم ، وقد اجتمعوا في الله إخوانا ،يحبهم ويحبونه، ويشيع هذا الحب العلوي بينهم ويتقاسمونه ؟!" [١١].

والذلة هنا ليست مصطنعة كالتي يتظاهر بها البعض أمام الملأ وفي المناسبات العامة ويلبسها الكثير من دعاة الإصلاح والدعوة ثم حينما يجد الجد وينادي مناد الحاجة والتضحية تجدهم كالحمر المستنفرة التي فرت من قسورة، ويسد كل واحد باب بيته وينكفئ على نفسه ويهتم بأهل بيته لا يراعي حرمة أخوة ولا واجب دين ولا حاجة دعوة و نصرة مبدأ ولا هم يحزنون.

هؤلاء هم الذين يبنون لدنياهم ويقتاتون من دينهم ويجعلونه جسراً يعبرون عليه لبلوغ مصالحهم وتنفيذ مآربهم وإرضاء أهوائهم، بينما أصحابنا الأنصار والمهاجرون تجدهم يتسابقون إلى التضحية والإيثار لبعضهم البعض، ويتطابق سرهم مع علنهم، لا يعرفون للتلون معنى ولا للتصنع طعماً ولا للتملق والرياء سبيلاً.

جعلوا من أنفسهم جسراً ليمر الإسلام وأساساً ليقيم عليه بناءه، يحرقون أمانيهم وأحلامهم الدنيوية في سبيل إسعاد إخوانهم، ويجدون قمة السعادة في تذللهم لإخوانهم دون أن يؤثر ذلك على عطائهم أو يعتبرون ذلك نقصاً من قيمتهم ، بل العكس هو الصحيح فقد يئس الشيطان أن يدخل إلى قلوبهم من هذا الباب، فلاذ بالفرار خوفاً من أن يرى صوراً أكثر تقدماً من هذه الذلة الإيمانية غير المعهودة.

١٠- المائدة:٥٤

١١- تفسير الظلال لسيد قطب رحمه الله

الطاعة لأمرائهم

إنه من أهم العناصر التي يتميز بها التنظيم الجهادي عن التجمعات الإسلامية العادية، حيث أن تحركات الأفراد ينبغي أن تكون دقيقة ومحسوبة، ولا يُترك شيء سدى أو للصدفة.

وقد رأينا هذا العنصر أكثر حضوراً وأعمق تجذراً في هؤلاء الفتية الأنصار والمهاجرون، في كل المراحل التي يقضونها بين إخوانهم يعدون العدة وينتظرون دورهم في تنفيذ مهامهم الجهادية لإيقاع المزيد من الأذى والألم والنكاية في الأعداء.

وما كان لهم أن يحققوا ما حققوه من نجاح في هذه الدنيا وينالوا ما نالوه من شهادة عليا – عند ربهم –، بغير الانضباط والطاعة لقياداتهم.

ولم يكونوا لينجحوا أبداً وهم يُعِدّون العدة لتنفيذ أوامر القيادة من دون الانضباط والالتزام بهذه الأوامر وخطط القادة سواء في مرحلة الإعداد أو في مرحلة التنفيذ.

وبهذا الانضباط الدقيق يستطيعون تجاوز كل العقبات والحواجز المادية التي تعترض طريقهم، سواء في السراء أو الضراء، في اليسر أو العسر، أثناء الإعداد والتدريب، وقبل تنفيذ الهجمات وأثناءها، كل هذا يضمن النجاح كما يُنزل الحفظ الإلهي لهم وتوفيقه ومدده الإيماني لهذه الزمرة المباركة، ولكن المدد الرباني لا ينزل إلا بعد أن يكون العبد قد استنفذ كل ما عنده من جهد وأسباب حتى لا يتعارض فهمنا لحقيقة السنن القدرية.

فهم ينزلون عند أمر ربهم جل وعلا ﴿ **أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾ [١٢]، فطاعة الله ورسوله لابد أن تتبعها طاعة أولي الأمر من القادة والمربين والموجهين في ساحات الدعوة والإعداد والجهاد، ولاشك أن هذه الطاعة مقرونة بعدم مخالفة أمر الله ولا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

العلم للعمل

من بين الشبهات التي يحاول الطغاة ترويجها في حق المجاهدين – ويحذو حذوهم بعض المخذِلين والمتقاعسين الجبناء من دعاة العمل الإسلامي – هو وصف المجاهدين بقلة العلم والفقه، وبأنهم ينجرون وراء قياداتهم بدافع العاطفة أو الإكراه أو غيرها من الدوافع، وهي تهمة قديمة وُوجِه بها الأنبياء وأتباعهم، ﴿ **مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ أَرَاذِلُنا بَادِيَ الرَّأْيِ** ﴾ [١٣]، **وقوله تعالى** ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعْ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** ﴾ [١٤].

١٢- النساء: ٥٩

١٣- هود:٢٧

١٤- الكهف:٢٨

فشباب قاعدة الجهاد وكل جماعات الجهاد ، لم يسلموا من هذه التهم، ولكنهم كانوا فوق الشبهات، فقد فقهوا مبادئ وأصول هذا الدين، وفقهوا مبادئ الكفر والردة، وانطلقوا يعملون بما عَلِمُوا، على بصيرة ووفق ما شرعه الله تعالى وسنَّه رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، فكانت أعمالهم مطابقة لعلمهم، وتنفيذاً لأوامر ربهم، وليس بدافع الجهل أو العصبية أو الانتقام أو الهروب من هذه الحياة، كما يردده الأعداء والكثير من الجبناء والقاعدين من دعاة التغيير المزيف. [١٥]

بل إنه قد أصبح شباب الجهاد يُفْحِمُون علماء البدعة والضلالة وفقهاء السلاطين والانبطاح وكل أذيالهم من المتنطعين والمتعالمين ودعاة الفقه والعلم، ويعجز هؤلاء عن مجابهتهم بالدليل والبرهان، متمسكين بشبهاتهم الداحضة ومستعينين بأشياعهم الجاهلين وهالاتهم الإعلامية المزيفة، وأنى لها أن تواجه هذا العلم الشرعي الرباني الذي يحمله أصحابه من أجل العمل والتطبيق، بينما مخالفوهم والذين وقفوا في وجه دعوة الحق يأخذون العلم من أجل التباهي وإرضاء الطواغيت ومداهنتهم أو الوصول إلى مناصب دنيوية زائلة وزهيدة.

الشجاعة والإقدام

كثيرون هم الذين يدّعون الجهاد ويتمنون لقاء الأعداء للإثخان فيهم، ولكن القليل من هذا الكثير من له الشجاعة الكافية في تخطي كل العقبات – المادية والمعنوية – لتنفيذ ادعاءاته. فالمسلم يتمنى أن يلتحق بجماعة أو تنظيم جهادي، خاصة إذا كان على مستوى تنظيم قاعدة الجهاد، ولكنه حينما تتاح له الفرصة لذلك، تجده يراجع حساباته وارتباطاته مع الدنيا، فيحجم في آخر لحظة ولا يستطيع اختراق هذا الحاجز الأول. ثم إذا ما نجح في تجاوزه، فإنه يجد نفسه أمام الحاجز الثاني، ألا وهو حاجز الهجرة، حيث يتحتم عليه – في كثير من الأحيان – أن يترك منصبه أو تجارته و أهله وعشيرته ليلتحق بصفوف المجاهدين، وقليل من هذا القليل من يملك الشجاعة اللازمة لتجاوز هذا الحاجز الثاني.

ثم إذا ما تجاوزه بنجاح، فسيجد نفسه أمام حاجز ثالث، وهو الالتحاق بصفوف القتال فعلاً وحالاً لا ادعاءاً وقولاً، وهذا هو ذروة سنام الإسلام. وحينما يتجاوزون هذه الحواجز الثلاثة ، فإنهم يجدون أنفسهم أمام الحاجز الأخير، وهو تقديم هذه النفس لبارئهم ووضع أرواحهم على أكفهم وتسابقوا إلى خالقهم وهم يهتفون: " عجلنا إليك ربنا لترضى"، فسَمَوْا إلى ذروة سنام الجهاد وهو الاستشهاد في سبيل الله تعالى، نصرة لدينه وإثخاناً في عدوه وعدهم. ولم يكن بإمكانهم تجاوز كل هذه العقبات بغير الشجاعة الفريدة التي تميزوا بها، وهي قوة الدفع الربانية، التي لا يقف في وجهها أي حاجز.

١٥– لعلنا سنعود إلى تفصيل هذه العناصر في مقالات مستقلة – بحول الله تعالى –.

لا يمكن أن يكون الجهاد على الورق بل على أرض الواقع في مجابهة ومقارعة الأعداء، وخير وسيلة للدفاع كما يقال هو الهجوم، كما أن ممارسة الجهاد في الواقع يعتبر من أفضل وسائل تكوين جنود أكفاء يثبتون عند لقاء العدو ويحدثون فيه النكاية.

وحينما يرى العدو هذه النوعية من الشجاعة والإقدام لدى هؤلاء الفتية في ساحات المعارك وتحدي كل الصعاب وتجاوز كل الحدود والعقبات ، وينجحون في إحداث خسائر عظيمة وفادحة في صفوف العدو فإن هذا يعتبر درساً عملياً في الشجاعة والإقدام، وتظهر للعدو بأنه يقاتل رجالاً من طراز فريد، وما هؤلاء الفتية إلا عينة لمن وراءهم من الأسود الذين يتحرقون إلى غزوات قادمة، ستقلب نهار العدو ليلاً وحياته جحيماً.

كما وأن هؤلاء الفتية (أنصار ومهاجرون) سيتحولون إلى نماذج ومثل عليا لمن وراءهم من الشباب المسلم، خاصة من لم يلتحق بعد بالطوائف المجاهدة، رسالتهم إلى كل هؤلاء أن طريق الجهاد معبأ وميسر لمن أراد ذلك، وبأن العقبات التي توجد في الطريق أغلبها عقبات وهمية يخلقها العدو لكي يثبط المسلمين عن أداء واجب النصرة والجهاد في سبيل الله، وبأن المؤمن المتوكل على ربه لا تقف في طريقه أي عقبة مهما كان نوعها، بل إن هذه العقبات والعوائق لا تعدو أن تكون مثبطات للشيطان يدخل بها على قلوب الضعفاء والمنهزمين وكل من رضي بالقعود مع القاعدين.

فمن واجب الإخوة في المؤسسات الإعلامية الجهادية أن ينشروا سير هؤلاء الأبطال، لتبقى أعلاماً ومنارات تشعل الطريق وتنيره لمن يأتي من بعدهم، مثلما يتمنى الشهداء أن يعودوا إلى الدنيا ليخبروا من تركوا وراءهم باللذة والسعادة التي حصلوا عليها بعد فوزهم بالشهادة ﴿**وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ () يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[١٦].

مرعبون لأعداء الله

لا أعتقد أنه كان ثمة إجماع لملل الكفر والنفاق والردة على محاربة طائفة – عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته –، من قبل مثلما تم على هؤلاء الفتية في هذا العصر.

فكل الأنظمة وما تملك من أجهزة المخابرات والأمن والتنصت والقمع وغيرها كثير، كلها تسخرها لجمع المعلومات ومراقبة هؤلاء الشباب، خاصة من تحدى مؤسساتهم وخالف قيمهم وتميز عنهم بسلوكه الصحيح وترفعه عن باطلهم وكفر بأوثانهم، فهذا يظل تحت مجهرهم يقعدون له كل مرصد ويتمنون لو يثبتوه أو يخرجوه أو يقتلوه كما هي طبيعة أهل الباطل اتجاه أهل الحق على مر التاريخ ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾[١٧].

١٦- آل عمران: ١٧٠-١٧١

١٧- الأنفال: ٣٠

فهؤلاء الأبطال يظلون مصدر رعب وهلع لهؤلاء الكفار والمرتدين والمنافقين في كل زمان ومكان، ومطلوبون أمنياً من قبل دول العالم قاطبة (حكومات الكفار الأصليين أو المرتدين) لأنهم يهددون أمنهم القومي، ويظلون إرهابيين بمجرد كفرهم بقوانينهم وسعيهم إلى العيش تحت حكم شريعة ربهم والدفاع عن أعراضهم والمستضعفين من شعوب أمتهم.
هذه هي تهمهم، وهذه هي أمنياتهم وهممهم التي تجعلهم يرعبون أعداء الله حتى وهم مقيدون في الأغلال في سجونهم وتحت أعينهم، فأي رعب هذا بالله عليكم ؟! وأي عزة واستعلاء يتمتع بها هؤلاء الأبطال ؟!
وحتى حينما يريدون إطلاق سراحهم يضعونهم تحت ما يسمى بالإقامة الجبرية، خوفاً من أن يعود هؤلاء الأسود إلى ساحات الدعوة والجهاد وتربية أشبال جدد إلى ساحات النزال. ترى دولاً " عظمى" تفتخر وتدَّعي أنها تمتلك أفضل وأعقد وسائل المراقبة والتجسس لكنها تجد نفسها عاجزة عن مراقبة هؤلاء الأسود وكأن آلياتهم ووسائلهم هذه تتعطل أمام هيبة هؤلاء المخلصين لربهم، وهي كذلك والله، فليس هناك تفسير آخر لهذه الظاهرة الغريبة غير هذا التفسير الرباني، والمعية الإلهية لهؤلاء.
كل الحدود مراقبة وكل السدود محصنة خوفاً من أن يتجاوزها هؤلاء الأنصار المهاجرون ليلتحقوا بجبهات القتال من أجل نصرة إخوانهم، وهناك تجديد لقوانين العبور وتعقيد للجوازات وأوراق السفر والتنقل بين الدول، كل ذلك من أجل تعقيد مهمة العبور بين الدول، وغايتهم هي منع هؤلاء الأسود من التحرك أو من أجل حصر وتتبع خطواتهم.

حينما يصبح التلميذ أستاذاً والمتعلم خبيراً

عندما يتحقق الإخلاص في النفوس وتكون الهمة عالية لبلوغ الغايات، والإرادة قوية لتحدي كل العقبات وقوة دفع تهدم الجبال الرواسي، حينئذ ينال المؤمن مبتغاه بقدرة قادر ويكون التيسير من الله عز وجل.
هذه هي سنة الله تعالى مع عباده المؤمنين، لابد أن تكون المبادرة الأولى منهم هم ، " من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني مشياً أتيته هرولة" فليس هناك مستحيلاً في مسيرة العبد إلى ربه، إن أخذ بالأسباب وتوكل على الله حق توكله وصل إلى مبتغاه، لأن عالم الأسباب والمسببات بيد الله وحده.
فحينما وصل هؤلاء المهاجرون الأنصار إلى مواقع الثغور، كان لابد لهم من إعداد خاص على مختلف الأسلحة والخطط الحربية ليكونوا مؤهلين لخوض غمار الجهاد والقتال إلى جانب من سبقهم من إخوانهم، إن في مقدمة الصفوف أو أماكن الدعم أو الحراسة أو غيرها من المواقع والاختصاصات، وخلال مرحلة الإعداد تتفجر طاقات الإخوة وتظهر بقوة، حتى أنه في خلال فترات قصيرة يصبح هؤلاء التلاميذ أساتذة في مختلف الفنون التي تعلموها، كما يصبح الكثير منهم خبراء في فنهم الذي أقبلوا عليه بقلوب صادقة وعقول واعية.
وسرعان ما يتحول الكثير منهم إلى أساتذة ومربين للقادمين الجدد، وهكذا تنتقل راية المسئولية من رعيل إلى آخر، بعدما يرحل السابقون إما إلى جنات النعيم أو يبتلون بمحنة السجن أو ينتقلون إلى جبهات جديدة حسب الطلب.

والشيء المجمع عليه هو أن هذه المعسكرات تتحول إلى جامعات عسكرية ودعوية لتخريج خبراء في مختلف فنون القتال والتربية والتكوين ، لم يكونوا ليحظوا بعشر معشار قيمته لو مكثوا في بلدانهم الأصلية، ولكن الله تعالى يهيئهم لما هو آت من ملاحم عظيمة تنتظر هذه الأمة الخاتمة ليتحقق وعد الله على أيديهم.

التسابق إلى الاستشهاد

طوابير الاستشهاديين طويلة وأعدادهم في تزايد مستمر، وكل واحد يتمنى لو يوضع اسمه في لائحة الشرف قبل أخيه، والكل في انتظار ساعة الحسم ويوم العرس .

وفي انتظار ذلك تراهم في معسكرات التدريب أو التكوين أو طلب العلم أو تجدهم قد نفروا في مهام جهادية أخرى متنوعة.

كل واحد منهم يتمنى لو يسبق أخاه إلى الفوز بالشهادة، ولسان حالهم يقول **{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}** [18] ، وعجلت إليك ربي لترضى، يا لها من صورة تذهل أولي الألباب، ولولا أنها مأمورة ومحمودة في ديننا لوصفنا هؤلاء بالمجانين، وقد وصفهم أعداؤنا بالجنون تارة، وبالهلوسة تارة أخرى، ونحن نصفهم كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أي الشهداء أفضل ؟ قال :" الذين إن يلقون القوم في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك ينطلقون في الغرف العلى من الجنة ، ويضحك إليهم ربهم ، وإذا ضحك ربك إلى عبدٍ في الدنيا فلا حساب عليه." [19]

فكل أنصاري ومهاجر ينتظر هذه الساعة أكثر مما ينتظر ليلة عرسه في الدنيا، فهو عرس من نوع خاص يشترك فيه أهل الأرض والسماء، ويُزف فيه الشهيد لاثنتين وسبعين من الحور العين، أي عرس هذا وأي شرف لهذا العريس! وكيف لا يحق لهم أن يتسابقوا ويتنافسوا مثل هذا التنافس العجيب الغريب؟!

هاهم قد وصلوا إلى المحطة الأخيرة، حيث اختارهم الله تعالى ليكونوا من زمرة الشهداء، ﴿ **وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاء** ﴾ [آل عمران]، " وهو تعبير عجيب عن معنى عميق . إن الشهداء لمختارون، يختارهم الله من بين المجاهدين، ويتخذهم لنفسه . سبحانه . فما هي رزية إذن ولا خسارة أن يستشهد، إنما اختيار وانتقاء، وتكريم واختصاص.. إن هؤلاء هم الذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة، ليستخلصهم لنفسه . سبحانه . ويخصهم بقربه.

ثم هم شهداء يتخذهم الله، ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداء لا شبهة فيه، ولا مطعن عليه، ولا جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق، وتقريره في دنيا الناس،يطلب الله . سبحانه . منهم أداء هذه الشهادة، على أن ما جاءهم من عنده الحق، وعلى أنهم آمنوا به، وتجردوا له، وأعزوه حتى أرخصوا كل شيء دونه، وعلى أن حياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق، وعلى

١٨- المطففين :٢٦

١٩- الصحابي هو نعيم بن همار – مسند الإمام أحمد

أنهم هم استيقنوا هذا، فلم يألوا جهدا في كفاح الباطل وطرده من حياة الناس، وإقرار هذا الحق في عالمهم وتحقيق منهج الله في حكم الناس.. يستشهدهم الله على هذا كله فيشهدون.. وتكون شهادتهم هي هذا الجهاد حتى الموت، وهي شهادة لا تقبل الجدال والمحال." [٢٠]

وليكونوا قرباناً لهذه الأمة ليخرجوها من هذا الهوان والاستضعاف، فقدموا أنفسهم رخيصة في ساحات النزال ضد الأعداء وهم موقنون أنهم لن يرجعوا إلى هذه الدنيا الفانية الزائلة، بل هو تقدم وولوج إلى جنات الخلد –إن شاء الله–. فكانت هذه آخر حلقة من سلسلة التضحيات الجسيمة في رحلة الإيمان والهجرة والجهاد.

مرحلة العودة ونقل التجارب الجهادية

من هؤلاء الأبطال من كتب الله عليه أن يعود إلى بلده الأصلي الذي انطلق منه يبتغي الشهادة، ولكن الله تعالى لحكمة يعلمها، ادخر له أجر الشهادة وشرفها، فأراده أن يعود إلى بلده ليتم المهمة التي انطلق في سبيلها، فالآجال بيد الله عز وجل، وليس الجهاد هو الذي يقدم أو يؤخر أجل أحد من عباده.

ولعل الله تعالى أعد هؤلاء المهاجرين والأنصار لما هو أهم وأبقى وأنفع لهم في الدنيا والآخرة، فأعادهم لكي يكونوا قادة في بلدهم ويبدءوا رحلة جهاد جديدة وسط أهليهم وأصحابهم، وفي البيئة التي تربوا فيها ويعرفون الكثير من أسرارها.

عادوا محملين بتجارب ثمينة وكفاءات عالية وعلوم ميدانية فريدة ونادرة، لكي يفتحوا جبهات عمل في البلد، ويبدأوا بتشكيل خلايا جهادية غايتها تحرير البلاد من براثن الردة والكفر، ونشر دين التوحيد بين الناس عن طريق تربية أجيال تكون قاعدة صلبة ولبنات متينة وثابتة لتحمل بناء العمل الجهادي المبارك، هذا البناء الذي سيتشكل عبر الزمن وعبر التضحيات التي سيقدمها أصحابها في سبيله.

فالواقع في بلداننا لا يختلف كثيراً عن واقع البلدان التي كنا نجاهد فيها من قبل، فتلك فيها عدو خارجي صائل له أعوان مرتدون يشكلون أوتاده وردءه، وهنا عدو داخلي صائل له أعوان صليبيون ويهود من الخارج يمثلون امتداده ومصدر قوته وبقائه.

والناظر إلى الجبهات الجديدة التي فتحت في بلداننا المحتلة من طرف هذه الأنظمة المرتدة، تلك الجبهات التي فتحها أبناء البلد بدعم كبير وواسع من طرف هؤلاء الأنصار والمهاجرين الذين عادوا إلى بلدانهم للمساهمة في إثراء المسيرة الجهادية وأخذ مكانهم في الصفوف الأولى بل وتقلد مناصب قيادية في هذه المسيرات نظراً للتجارب الواسعة والخبرات الكبيرة التي اكتسبوها في ميادين القتال من قبل.

ويمكننا ذكر نماذج وأمثلة في هذا المجال، فأفغانستان تعتبر الجامعة الأولى لتخريج هؤلاء الخبراء والمربون ، ومنها انطلقوا ليعززوا الجهاد في بلاد القوقاز ثم بعدها في بلاد البلقان ، ومنها انطلقوا إلى بلاد المغرب الإسلامي ثم بعد ذلك إلى

٢٠– في ظلال القرآن – سيد قطب

بلاد الرافدين بنسبة أكثر تفاوتاً ، وبدورها تحولت بلاد الرافدين إلى مركز جديد لتخريج القادة والخبراء في شتى فنون القتال والتكتيكات الجهادية، انتقلت بعدها دفعات من الخريجين إلى جنوب جزيرة العرب (بلاد اليمن) ثم إلى الصومال (منطقة القرن الإفريقي)، وأخيراً وليس آخراً هذه العصبة المباركة التي انتقت إلى سوريا الشام وسمت نفسها بعصبة النصرة في بلاد الشام، لتبدأ مسيرة تحرير البلاد من براثن الشرك والكفر النصيري الرافضي، ولكي تكون النواة الأولى لرحلة جهاد طويل لن تتوقف حتى تحرر كامل بلاد الشام وتحكم فيه شريعة الله عز وجل .

صابرون عند ابتلاء الأسر والقتل صبراً

هناك صور أخرى من الابتلاء والمحنة التي يلقاها هؤلاء الأبطال في طريق الجهاد، حتى وهم في خضم التدافع مع أهل الباطل وفي معترك المعارك ووسط أزيز الرصاص وغبار البارود، فليس كل من يدخل إلى ساحات الجهاد يجد الشهادة، كما أن ليس كل من يتمنى الجهاد يجده، فالله تعالى يختار من عباده وينتقي من يشاء ليكون شهيداً ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاء**﴾.

كما أن هناك الكثير من هؤلاء يمتحنهم الله تعالى بابتلاء الأسر والاعتقال بينما هم كانوا يحبون غير ذلك، إحدى الحسنيين، نصر أو شهادة ، ولكن هذا ما أراد الله ولا يكون إلا ما يريد سبحانه.

فيواصل هؤلاء الأبطال رحلتهم الجهادية وكدحهم إلى الله في السجون والمعتقلات، يذوقون أنواعاً من الفتن والأذى المادي والمعنوي لترتفع درجتهم ويعلو مقامهم عند الله، إذا صبروا واحتسبوا واستعلوا على ما أصابهم بصبرهم وثباتهم ورضاهم بما كتبه الله عليهم.

فلا يحسبن هؤلاء الصابرون أن جهادهم قد توقف أو أن ثوابهم قد نفذ، كلا والله، بل هم في رباط متواصل وتضحية فريدة لا يقدر عليها إلا من اختاره الله لذلك، فهو في تحدي عجيب وصراع مرير مع أعداء كثيرين، كلهم يحاولون ثنيه عن دينه وإيقاعه في الهزيمة لكي يخسر دينه ودنياه.

فالعدو الأول هو النفس الأمارة الضعيفة التي تدعوه إلى الاستسلام للضغوط من حوله والرضا بالدونية والتنازل عن مبادئه لكي يفوز براحة دنيوية وتوقف الأذى المادي والمعنوي عنه إلى حين، وتحاول البحث عن مبررات لتقنعه بصحة ما سيقدم عليه وأن الله لا يرضى لعباده بأن يقتلوا أنفسهم أو يلقوا بأيديهم إلى التهلكة وغيرها من الشبهات.

أما العدو الثاني فهو الشيطان الرجيم، ذلك العدو الذي يتحين هذه الفرصة لكي يضيع أجر المجاهد بوسوسته المتواصلة حيث يحاول أن يوهمه أن دوره قد انتهى وليس عليه أي وزر إذا ما استجاب لمطالب أعدائه لأنه تحت الإكراه الشرعي والاضطرار الواقعي، فقد رُفع عنه القلم وليس لديه ما يخاف عليه.

والعدو الثالث هم أعداؤه المرتدون أو الصليبيون أو الكفار بوجه عام، يودون لو يكفر كما كفروا، حسداً من عند أنفسهم وهم مقتنعون في قرارة أنفسهم أنهم على الباطل وأن هؤلاء الأبطال على الحق، ولكنهم يترفعون ويتكبرون

ويصرون على باطلهم ويتمادون في تعذيب هؤلاء المؤمنين وفتنتهم عن دينهم، ويا لها من فتنة، ويا له من اختبار يتعرض له هؤلاء الأخيار الصابرون، فيثبتهم الله تعالى ليسجلوا أعظم الانتصارات على الأعداء بعدما سجلوا تلك الانتصارات الباهرة في ساحات القتال من قبل.

إنه والله أعظم الجهاد، وأصعب امتحان وأشد فتنة يجتازها هؤلاء الفتية بنجاح منقطع النظير، ويستعلون بإيمانهم وكأنهم جبال شماء يصعب تركيعها وصخور صماء يستحيل كسرها، بل إنها تتكسر عليها مكائد ومكر هؤلاء الأعداء وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال.

وحينما يعجز أعداء الله عن النيل من إيمان أبطالنا فإنهم يلجأون في آخر المطاف إلى الحكم بإعدامهم كتعبير عن هذا العجز وعن هذه الهزيمة، وكأن وجودهم في السجن يمثل رعباً لهم وتهديداً لعروشهم وباطلهم حتى وهم في القيود ووراء القضبان.

ويكفيهم فخراً أن يكون إمامهم هو الصحابي الجليل خبيب بن عدي رضي الله عنه، الذي أعطى مثلاً أعلى في الصبر والاستسلام لربه والرضا بقدره فيما لقيه من قتل في سبيل الله، وكان تلاميذه المعاصرين – وأبطالنا منهم – خير خلف لخير سلف حيث لم يُعرف عنهم أي ضجر ولا تردد ولا خوف ولا وجل من التقدم بكل استعلاء وفخر للقاء ربهم في سجون أعداء الله سواء كانوا صليبيين أو ملحدين أو روافض.

فكانوا يتزينون ويلبسون أفخر ما عندهم صبيحة يوم إعدامهم، وهم مستبشرون وفرحون بما سيلقونه بعد حين من نعيم مقيم ورضوان من الله أكبر، فيكونوا بهذا قد سجلوا أكبر انتصار على جلاديهم بما نالوه من شرف الشهادة وحسن الخاتمة.

وبعد،

فقد كانت هذه أهم المحطات التي تجسد حياة هؤلاء الغرباء الذين أبوا إلا أن يمتطوا صهوات جيادهم وركوب المخاطر وتخطي الحدود وكسر السدود للوصول إلى ساحات الوغى وفود. وفود ونواب عن الأمة ليخطبوا على الملأ وعلى منابر الجهاد والاستشهاد خطباً من نوع آخر، لم يعهدها السامعون الذين ألفوا تلك الكلمات الرنانة التي لا تتعدى حناجر أصحابها ولا تكاد تستقر في قلوب سامعيها، بينما أصحابنا الأنصار والمهاجرون، وبالرغم من قلة كلماتهم بل منهم من لا يتقن لغة الكلام أصلاً لأنه يؤمن بلغة العمل والتضحية والفداء، فإننا نسمع ونرى ونعي ما يقدمونه من عمل في صمت وتضحية بسمت، وقد يُدعى أحدهم إلى تسجيل وصيته قبل الرحيل عن هذه الدنيا، وهي قد تكون خطبتهم الأولى والأخيرة في حياتهم، لكنها جمعت آلاف الخطب وآلاف المعاني وآلاف العبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

هؤلاء هم أبطالنا وأساتذتنا الذين علمونا كيف يقدم المؤمن روحه في هذه الحياة الدنيا ليشتري ابتغاء مرضاة الله في الآخرة، ولتُكتب له حياة أزلية في الدنيا، بأن يُخَلِّدَ الله اسمه في أذهان الناس وفي قلوبهم إلى يوم القيامة ﴿ **وَلا تَقُولُوا**

لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ ﴾ [٢١]. فلئن كانت هذه فقط لكفت أن يتسابق هؤلاء إلى الشهادة، فضلاً عن أن هناك مالا غين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في انتظار هؤلاء العرسان في جنان الرضوان عند الملك الديان.

نسال الله سبحانه أن يجعلنا ممن يعرف قدر هؤلاء الأبطال، ويتقن لغة الإخلاص والوفاء لهم، فندعو الله تعالى جل في علاه أن يتقبلهم بجوده وكرمه ويشملهم بعفوه ورحمته، وأن يوفق الذين لم يلحقوا من بعدهم بأن يحذوا حذوهم ويقتفوا آثارهم، فيتحقق النصر على أيديهم، ويكون الدين كله لله.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه تقرباً إلى الله: أبو سعد العاملي غفر الله له- ربيع الأول ١٤٣٣ هجري.

==========

======

مع تحيات إخوانكم في

مؤسسة المأسدة الإعلامية

(صوت شبكة شموخ الإسلام)

٢١- البقرة:١٥٤